د.عصام العريان يكتب: ولما كان التاسع من فبراير 2010م

الأربعاء 24 فبراير 2010 12:02 م

23/02/2010م

ولما كان التاسع من فبراير 2010 ميلادياً الموافق 25 صفر الخير 1431 هجرية الثاني من أمشير وهو يوم ميلاد زوجتي الحبيبة احتفلنا بعيد ميلادها «لا داعي لـذكر العـدد» في مبني نيابـة أمن الدولـة بالتجمع الخامس بالقاهرة المحروسة أو القاهرة الجديدة بعد أن أنهيت امتناعي عن الإدلاء بأقوالي رسـمياً أمام المحـامي العام لنيابات أمن الدولـة المسـتشار «طاهر الخولي» وبعـد لقاء آخر من المحامي العام الأول «هشام بـدوي» استرجعنا فيه ذكريات مضت لأيام خلت في عروض سابقة منذ عام 1995 وحتي عام 2007، حيث أدليت بأقوالي خلال 3 تحقيقات علي مدار أكثر من 200 ساعة ولم يعد لدي جديد أقوله حيث لم تأت مباحث أمن الدولـة بأي جديـد أجيب عنه، فالاتهامات هي الاتهامات والمادة 86 مكرر عقوبات هي التي يواجهني بها السادة رؤساء النيابـة منذ كان المستشار «هشام بدوي» رئيساً في 1995 ومروراً بالمستشار «محمد الفيصل» وانتهاء بالمستشار «هاني حمودة»، وقد تقلبت بهم الدنيا بين مرءوس أصبح رئيسـاً وآخر انتقـل إلي القضـاء الجـالس عضواً في دائرة والفيصـل الـذي ذهب معـاراً إلي دولـة الكويت الشـقيقة.. أمـا أنـا فمازلت كما كنت ماثلاً بتهمة الانضـمام إلي جماعـة محظورة تهـدف إلي قلب نظام الحكم وتسـتعمل الإرهاب وتهدف إلي تغيير الدسـتور.. اتهامات باطلة ما أنزل الله بها من سـلطان وليس هناك دليل عليها بل هي العبث بعينه لمن يريد صـيانة الدسـتور وتطبيقه ويدعو مع نخب محترمة من أهل هذا البلد بينهم فقهاء دسـتوريون لإصـلاح شامل يبدأ بالدسـتور والمناخ السياسي، وكان آخر ما قلته في لقاء عام أذاعته قناة «الجزيرة» مباشر يوم الأربعاء 3/2 عدة مرات مسجلاً ومصوراً ندعو فيه إلي الإصلاح السلمي بأصوات الشعب عبر تحالف عريض يضم من يقبل مبادئ الإصلاح حتي ولو كان منتمياً للحزب الوطني الذي يحكمنا بأغلبية مزورة.

كانت هـديتي لزوجتي في عيد ميلادها مزيداً من التعب والعناء، وعندما واجهتها بذلك ضـحكت في خفر وحياء يلازمها تقول إنها لم تتعب ولم ترهق بعد ولا عليك، وعنـدما قال الأولاد سـنعود إلي بيت أسـماء ـ صـغري بناتي ـ بجوار النيابة لنطفئ الشـموع ونأكل التورتة قالت لا أريد تورتة أريد شـيئاً نافعاً، فقلنا جميعاً لا مانع من الهدايا النافعة بجوار التورتة اللذيذة وحولنا حفيدي الخامس «يحيي إبراهيم» يصول ويجول ويتمشي باتجاه مكتب رئيس النيابة، فنضحك ونقول: الولـد يريد أن يبدأ المشوار مبكراً ويمثل أمام النيابة وهو لم يكمل الثانية من عمره بعد، أم أنه يرغب في الإدلاء بأقواله بدلاً من «جدو» الذي امتنع عن الإجابـة، أم لعله يريـد أن يقول للمحامي العام: أطلق سـراح جدي الذي يلاعبني وأشـكو إليه أبي وأمي وأهرب إلي جعبته من ملاحقتهما لي، والعجيب أنني لم ألاحظ نمو أولادي في صـغرهم وشـغلتني عنهم السـجون التي دخلتها مع بلوغ ابنتي الكبري «سارة» الثانية من عمرها وكانت تأتيني مع أمها في ليمـان أبي زعبـل أحيانـاً أو عضويـة مجلس الشـعب التي أرهقتني بالدراسـة والقراءة والإعـداد للمناقشـات أو المرور علي المكاتب وحضور النـدوات، ثم سرعان ما جاء السـجن الطويل لخمس سـنوات شب فيها أولادي، وحصـلت سارة علي الثانويـة وأنا بالسـجن ودخلت كليـة التربيـة قسم اللغـة الإنجليزية، وقارب إبراهيم الحصول علي الثانوية أيضاً فالتحق عقب خروجي مباشـرة بطب القاهرة وكذلك سمية وأسماء، وسرعان ما لاحقتني الاعتقالات في 2005 و2006 و2007 لتقطع مسـيرة حياتي من جديـد، وها هي أسـماء تنهي دراسـتها الجامعيـة هذا العام إن شاء الله في كلية آداب قسم علم النفس مثل أختها سمية أيضاً.

كبر الأولاد ولم أتمتع بصـحبتهم وملاعبتهم، وإذا بالأحفاد يتوالي وصولهم وعشت معهم سـنتين دون كدر السجون، وها هو المقدور يقع ونبدأ رحلة جديدة وقد أصـبحت كبري أحفادي في السـنة الأولي الابتدائية وسوف تدرك معني السـجن والمعاناة عندما تزورني في سجني المزدحم جداً بأكثر من 2500 نزيل كلهم محبوسون احتياطيـاً وترهق إدارة السـجن بترحيلات يوميـة إلي النيابـات والمحـاكم وبقيـة السـجون وإيراد جديـد لا ينقطع من المسـجلين خطر أو العائـدين للجريمـة أو الجـدد الـذين سـرعان ما تحولهم حياة السـجون إلي معتادي إجرام في ظل سـياسة عقابيـة فاشـلة أو عدم الاهتمام بأحوالهم داخل السجون حتي لا يعودوا إلي الجريمة من جديد.

هي خلوة مع الله واستراحـة محارب وشـحن لبطارية الإيمان ومراجعة للنفس وفترة للتأمل والتفكير والنظر ومدارسات نافعة واسـتعادة لشـرح حكم ابن عطاء الله السـكندري من جديد لعل الله يقذف في القلب نوراً جديداً ومناجاة وابتهالاً إلي الله أن ينقذ مصـر من المصـير المحتوم الذي تسير إليه حثيثاً إذا اسـتمرت الأوضاع علي ما هي عليه دون إصـلاح أو تغيير وتجدد للحب الكبير الذي يجمع قلوب الإخوان المسـلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين يصلنا سلامهم ونشعر بدعائهم من حولنا وتقوية للصلة مع أصدقاء وأحباب يجمعنا بهم حب الوطن والرغبة في رفعته ونهضته مهما اختلفت الطرق التي نسلكها في هذا الصدد والسبيل.

ومعـذرة إلي الـذين كنت علي موعـد معهم مثل وحيـد حامـد لحضور تصوير مسـلسل «الجماعة» أو الباحثين أو غيرهم ممن واعدتهم فلم أقدر علي الوفاء بوعودي لهم وأسألهم الدعاء الخالص لعلي أقدر علي الوفاء.

هذا ما أمليته علي زوجتي وأولادي والمحامي ولعل المساحة تتسع بعد ذلك لبحوث سبق إعدادها كما حدث من قبل.